

الخطاب التأثيري في الشعر العربي الثوري المعاصر
مقاربة تأويلية لقصيدة "بطاقة هوية" لمحمود درويش

Effective speech in poetry Arab revolutionary revolutionary
An interpretive approach to the card's poem
Identity Mahmoud Darwish

د. بن يمينة فاطمة¹

Benyamina Fatima

جامعة ابن خلدون تيارت الجزائر

Ibn Khaldun University Tiaret Algeria

Fatimabenyamina14@gmail.com

تاريخ النشر: 2020/06/02

تاريخ القبول: 2020/04/18

تاريخ الاستلام: 2019/11/03

الملخص:

جاءت ورقتنا البحثية هذه للكشف عن الخطاب التأثيري في الشعر العربي الثوري من خلال مقاربتنا لقصيدة "بطاقة هوية" لمحمود درويش، بالاعتماد على المنهج التأويلي الذي يساعد القارئ على العثور على مداخل تمكنه من وضع جسر تواصل يربط بينه وبين عالم النص، ومن ثمة الغور والولوج إلى أعماقه والكشف عن أسراره المتكتم عنها. الكلمات المفتاحية: الخطاب، التأثير، التأويل، الشعر، النص، الإقناع، المقاومة.

Abstract:

This paper came up for disclosure About poetic speech Arab revolutionary approach For the poem "Mahmoud" Based on the curriculum Interpreter that helps the reader to Find inputs that enable it to position A communication bridge that connects it with a world Text, and there are holes and access to And reveal his secrets Mute

key words : Discours ,Effet , Interprétation, Poésie, Texte , Persuasion, Resistance.

مقدمة:

ما لا شك فيه أن النص الشعري هو الحقل الخصب الذي يلقي فيه القارئ ضالته، ومبتغاه، بوصفه أكثر النصوص انفتاحا على قراءات متباينة ومختلفة(1)، وذلك لأن النص الشعري له قابلية الانفتاح على قراءات متعددة، فهو «لا يحمل في ذاته دلالة جاهزة ونهائية،

1- المؤلف المرسل د. بن يمينة فاطمة Fatimabenyamina14@gmail.com

بل هو فضاء دلالي، و إمكان تأويلي، و لذا فهو لا ينفصل عن قارئه ولا يتحقق من دون مساهمة القارئ»(2). كما أن النص الشعري يتميز بلغة حية ما لا شك فيه أن النص الشعري هو الحقل الخصب الذي يلقي فيه القارئ ضالته، ومبتغاه، بوصفه أكثر النصوص انفتاحاً على قراءات متباينة ومختلفة(3)، وذلك لأن النص الشعري له قابلية الانفتاح على قراءات متعددة، فهو «لا يحمل في ذاته دلالة جاهزة ونهائية، بل هو فضاء دلالي، و إمكان تأويلي، و لذا فهو لا ينفصل عن قارئه ولا يتحقق من دون مساهمة القارئ»(4). كما أن النص الشعري يتميز بلغة حية متنامية، تعمل على تحريك وهزّ أعماق المتلقي. فاللغة الشعرية ليست مجرد حروف أو موسيقى، وإنما هي أكثر من ذلك. فهي تحمل دم الحياة، وهي كيان جوهره في إيجائه لا في إيضاحه(5). وعليه ارتأينا أن تأتي مقاربتنا لنصّ شعري، يحيلنا إليه الشاعر الفلسطيني محمود درويش عبر قصيدة "بطاقة هوية" انطلاقاً من إشكالية مفادها "ما مدى استجابة النصّ الشعري العربي الثوري وخاصة الدرويشي للقراءة التأويلية؟" وما غايتنا من قراءتنا لهذه القصيدة إلا الكشف عن الطاقة التأويلية المخزّنة في مثل هذا النوع من الشّعْر العربي المميز.

إيجائية العنوان:

يعد العنوان أول مدخل يصطدم به القارئ، بوصفه العلامة الأولى التي تتقدم النصّ، و المفتاح الأساسي الذي يتسلح به المحلل للولوج إلى أغوار النص العميقة قصد استنطاقها و تأويلها(6)، كما أنّ العنوان يساعد على فهم ما غمض من النص إذ هو المحور الذي يتوالد و يتنامى و يعيد إنتاج نفسه وهو الذي يحدد هوية القصيدة(7). و "بطاقة هوية" عنوان يحمل في طياته مجموعة من الإيحاءات الدلالية المحتملة لعدة قراءات تأويلية؛ منها أنّه جاء جملة اسمية يتصدرها مبتدأ "بطاقة" متبوعاً بخبر " هوية" واختيار الشاعر له لم يكن اختياراً اعتباطياً وإنما هو مقصود، فالجملة الاسمية دلالة على الثبات وعدم التغير، مما جعل العنوان يتماشى ومقصدية الشاعر الذي يهدف إلى إقناع محاوره بانتمائه إلى القومية العربية، محاجّجاً إيّاه بتقديم بطاقة الهوية التي تثبت صدق الشاعر في دعواه. وهي حجة يقدمها محمود درويش لفائدة اطروحته أو قضيته التي يريد أن يوصلها إلى متلقيه، فيوجهه «إلى وجهة محددة في الخطاب»(8)، وقد وظف الشاعر في نصه الكثير من الدوال الموحية لصلة العنوان بالمتن، التي تدل على أنّه يتكلم على قضية وطنية تشمل كل فلسطيني عربي وهي محاولة طمس للهوية العربية من طرف الكيان الإسرائيليّ مثل: (أنا عربي، أبي من أسرة المحرث، جدي كان فلاحاً، على رأسي عقال فوقه كوفية) وهي رموز كلها توحى إلى الشخصية العربية المتجذرة في تراب الأرض الفلسطينية، مما يثبت أنّ المواطن الفلسطينيّ

عربيّ الانتماء، رغم تجاهل الإسرائيليّ لهذه الحقيقة، كما أسهمت هذه الرموز في انسجام العنوان مع المتن محققة التماسك النصي للقصيدة.

بنية القصيدة:

افتتح الشاعر كل مقطع بفعل الأمر "سجل" حيث جاء في المقاطع الخمسة في سطر لوحده، معزولا عن بقية التراكيب اللغوية "أنا عربي" الذي ورد في بداية السطر الثاني، وهي وسيلة استفزازية تجعل المتلقي يتساءل: لمن يوجه الشاعر خطابه، وماذا يريد منه أن يسجل؟ بل هي استراتيجية إقناعية تعمل على استمالة المتلقي ثم استدراجه وإشراكه في العملية التواصلية والإبداعية.

وتبدو عبارة "أنا عربي" كأنها جواب عن سؤال استنكاري، ناتج عن حوار حجاجي مبني على التناقض وعدم الاتفاق، وهذا ما يسميه س. جاكسون: «الحجاج الحواري، إذ يعطي للحجاج وظيفة تنظيم وحل خلاف داخل محادثة حجاجية جدلية تشبع فيها الحجج الخلافات؛ ويأخذ فيها الحجج طبيعة عقلانية واستراتيجية»⁽⁹⁾ والشاعر يحجج خصمه الذي ينكر عليه انتمائه إلى فلسطين، مقدما أدلة متتالية وحجج عقلية، وواقعية، تثبت أحقيته بالانتماء إلى القومية العربية، فتكراره لجملة "سجل أنا عربي" ست مرات التي وردت مع بداية كل مقطع لأكثر دلالة على أن محمود درويش كان في موقف خطابي حجاجي؛ حيث يعد التكرار «رافدا أساسيا يرفد هذه الحجج والبراهين التي يقدمها المتكلم لفائدة أطروحة ما، حيث يوفر لها طاقة مضافة تحدث أثرا جليلا في المتلقي، وتساعد على نحو فعال في إقناعه، أو حمله على الإذعان»⁽¹⁰⁾ وما هذا إلا إصرارا منه على تشبته بأرضه، وأرض كل الشعب الفلسطيني.

المقطع الأول

سجّل

أنا عربي

رقم بطاقتي خمسون ألف

وأطفالي ثمانية

وتاسعهم.. سيأتي بعد صيف

فهل تغضب؟ (11)

الشاعر في هذا المقطع وظف لغة الأرقام الدالة على البعد الزمني اللامتناهي والذي لا يعلمه إلا الله للامتداد الجذري له بصفته عنصر عربي في أرض السلام؛ مستلهما هذه الدلالة من النص القرآني إذ يستحضر "خمسون ألف" من الآية الكريمة ﴿تخرج الملائكة والروح إليه في

يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ﴿12﴾ كما نجد رقم "ثمانية" الذي استقاه من الآية ﴿والمملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية﴾ ﴿13﴾ وكأن الشاعر يريد أن يقول لنا بأن أطفال فلسطين الأبرياء المتسمين بسماوات الملائكة هم من سيحملون على أعتاقهم القضية الفلسطينية وسيحققون ما لم يحققه الكبار. و يضيف قائلاً: "وتاسعهم.. سيأتي بعد صيف"؛ حيث تتبع كلمة تاسعهم بنقاط دلالة على زيادة العدد اللامتناهي للمواليد الفلسطينيين. هذا التزايد الذي يغضب ويقلق الإسرائيليين، وهو ما يؤكد قول الشاعر "هل تغضب".

المقطع الثاني:

سجّل

أنا عربي

و أعمل مع رفاقي الكدح في محجر

وأطفالي ثمانية

أسلُّ لهم رغيف الخبز،

والأثواب و الدفتر

من الصخر

ولا أتوسّل الصدقات من بابك

ولا أصغرُ

أمام بلاط أعتابك

فهل تغضب؟(14)

ينتقل الشاعر من التعريف بنفسه في المقطع الأول، إلى التعريف بمهنته واصفا لنا الحالة المزرية التي يعيشها وأبناء جلدته، ملمحا إلى الطبقة الدنيا التي ينتمي إليها وهي طبقة فقيرة لا تقدر حتى على توفير قوت يومها، التي نجد صاحب النصّ يفتخر بانتمائه إليها، بنزوعه إلى لغة الفخر والتحدي، وهي لغة موروثه عن الشاعر العربي القديم القح، مما يؤكد على الصلة الوطيدة بين الشاعر وتراثه. وفي قول الشاعر: "ولا أتوسّل الصدقات من بابك، ولا أصغرُ، أمام بلاط أعتابك" يحنج على الوضع المقرف، المقرز الذي يعيشه وإخوته، حتى وإن أراد إقناعنا بسمو ذاته ورفعته التي «لا يقهرها الجوع ولا يذلها الحرص»(15) وهي ميزة أخرى من مميزات الرجل العربي الذي لا تقهره الظروف.

وإيمانا من الشاعر بقضيته التي يناضل من أجلها حتى الاستشهاد، أو النصر يكرر سؤاله بكل سخرية، واستهزاء للخصم "هل تغضب".

المقطع الثالث:

سجّل
أنا عربي
أنا إسم بلا لقب
صبور في بلاد كل ما فيها
يعيش بفقرة الغضب
جذوري..
قبل ميلاد الزمان رست
وقبل تفتح الحقب
وقبل السرو والزيتون
وقبل ترعرع العشب..
أبي.. من أسرة المحراث
لا من سادة نجب
و جدي كان فلاحا
بلا حسب.. ولا نسب
يعلمني شمخ الشمس قبل قراءة الكتب
وبيتي كوخ ناطور
من الأعواد و القصب
فهل ترضيك منزلتي؟
أنا اسم بلا لقب(16)

يصرخ الشاعر في وجه عدوه، صرخة صاحب حق يريد من وراءها إثبات أسبقية وأحقية الفلسطيني في التواجد على أرض السلام؛ إذ يحمل هذا المقطع كل الأدلة التي تثبت أنّ الشاعر عربيّ عرقا، وأصلا ، فعبارة "أنا اسم بلا لقب" توحى إلى أن الفلسطيني العربي ليس له ألقاب أخرى يختفي من وراءها، وهو تلميح إلى اختلاف جنسيات الرجل الصهيوني الذي كان تائه في أقطار العالم ، قبل استعمار له للدولة الفلسطينية واتخاذها منها وطنا له، مزورا للتاريخ الذي يشهد بعروبة الأرض الفلسطينية. ويواصل الشاعر في تقديم الحجج الدامغة التي ترغم عدوه على الاعتراف بأنّه على حق، حتى ولو كان ذلك بينه وبين نفسه، فقول المبدع " جذوري" التي فصلها عن موقعها النحوي وأتبعها بنقاط دلالة على الامتداد التاريخي للوجود العربي بفلسطين، وهو ما أضفى عليها بعدا حجاجيا يبعث في نفس الخصم شعور الاغتراب، والإحساس بالخوف والقلق على مصيره، كما يهدف الشاعر إلى « جعل

المتلقي يعن النظر فيها، و يتوقف عندها ليتحسسها في ذاتها أولاً، ثم في دلالتها»(17) فينجح في محاججة الخصم، وشدّ القارئ بنصّه، وبقاء القارئ مع النص يتمكن محمود درويش من إيصال قضيته إلى متلقيه، فيكسب من وراء ذلك التأييد والمساندة ومناصرة مواقفه اتجاه وطنه وشعبه، وهذه هي وظيفة الحجاج التي تعمل على استمالة الآخر والتأثير فيه باستخدام «استراتيجية الإقناع»(18). وبتريديد الشاعر لظرف الزمان "قبل" أربع مرات « يعطي بعداً طويلاً للماضي، تغيب فيه ذاكرة المتلقي لتصل إلى الدلالة المقصودة»(19) المتمثلة في حق ملكية الشعب الفلسطينيّ للإنفرادية لأرضه، وهو ما سيعمل على تحقيقه، فقول الشاعر: "يعلمني شموخ الشمس قبل قراءة الكتب" إحالة إلى التطلع إلى الحرية واسترجاع الحق المسلوب من أصحابه.

ويجتم الشاعر المقطع ب: " أنا اسم بلا لقب" تمسكا منه باتتمائه إلى القومية العربية، وأنه وحده من يحق له السكن بفلسطين وعلى أعدائه الانصراف والرحيل من بلاده.

المقطع الرابع:

سجّل

أنا عربي

ولون الشعر .. فحمي

ولون العين .. بني

وميزاتي:

على رأسي عقالّ فوق كوفية

وكفي صلبة كالصخر

تخمش من يلامسها

وعنواني:

أنا من قرية عزلاء منسية

شوارعها بلا أسماء

وكل رجالها في الحقل و الحجر

فهل تغضب؟(20)

ينتهج الشاعر في هذا المقطع منحا آخر بتقديمه لحجج ملموسة، تثبت سبب تمسكه بأرضه، وهويته العربية، من خلال وصفه لملامحه التي تنطبق على ملامح الشخصية العربية المعروفة عالمياً. وكأننا بمحمود درويش يقول: إنني لست بحاجة إلى التعريف بنفسني فكل شيء يوحى إلى هويتي انطلاقاً من صفاتي الجسمية؛ لون الشعر ولون العين إضافة إلى ما ورثته عن آبائي، وأجدادي من عادات وتقاليد في ملبسي "على رأسي عقالّ فوق كوفية" وردفاً على

ذلك، أنا رجل بسيط أعمل في محجر كغيري من أبناء جلدتي الذين أرغموا على الأعمال الشاقة، فتحولت كفوفهم، إلى صخور لشدّة صلابتها، -وهنا يشير إلى قساوة الحياة، وشظف العيش بالأرض المحتلة- نهيك عن القرية التي أجبرت على السكن بها بعد ما صادرت حكومتكم بيتي، ومنحته لأحد الدخلاء منكم، فأصبحت "أنا من قرية عزلاء منسية وشوارعها بلا أسماء، وكل رجالها في الحقل والمحجر".

إنّ الشاعر بلغته البسيطة الموحية ينقل لنا مشهد حقيقي يعيشه ابن فلسطين المعزول عن الحياة المدنية؛ من خلال اجباره على ترك ممتلكاته، والالتحاق بالأرياف والأماكن الوعرة التي اتخذ منها مأواه ولأبنائه.

وينتهي الشاعر المقطع بنفس الجملة التي ختم بها المقطعين السابقين " فهل تغضب " وما نقرأه في هذا السؤال، أن الخلاف بين الشاعر والخصم -الرجل الإسرائيلي- زادت حدّته لأن: «طرح السؤال يمكن أن يضحّم الاختلاف حول موضوع ما إذا كان المخاطب لا يشاطر المتكلم الإقرار بجواب ما»(21) وباستحضار الظروف التي أنتجت فيها القصيدة، يتبين لنا أن محمود درويش لم يكن على وفاق مع الإسرائيليين. كما أن الشاعر يدرك أن الاعتماد على الاستفهام في بناء نصه، لهو «أشدّ إقناعاً للمرسل إليه وأقوى حجة عليه وذلك عندما يكون قصد المرسل غير مباشر، كما في هذا الحوار»(22) الذي يتلون بلون السخرية والتعجب والاستهزاء.

المقطع الخامس:

سجّل

أنا عربي

سلبت كروم أجدادي

وأرضا كنت أفلحها

أنا و أولادي

ولم تترك لنا .. و لكل أحفادي

سوى هذي الصخور

فهل ستأخذها

حكومتكم .. كما قايلا؟

إذن(23)

ترتفع نغمة صوت محمود درويش مصحوبة بنبرات حادة مليئة بالغضب والتحدي، محملا خطابه معنى الإدانة للحكومة الصهيونية التي صادرت كل ممتلكات الشعب

الفلسطيني، ولاسيما قرار مصادرة الأراضي العربية الخصب، فالشاعر يسرد لنا ما وقع وما يخاف وقوعه وهو أن تأخذ الحكومة منهم ما بقي لهم من أراضي قاحلة، ووعرة، فتحرمهم حتى من توفير أوقاتهم اليومية؛ إذ ما يعزز هذا الكلام قوله: "ولم تترك لنا.. و لكل أحفادي سوى هذه الصخور فهل ستأخذها حكومتكم .. كما قبلا؟".

وكالعادة يحتم مقطعه باستفهام من أجل إحكام قبضته على المتلقي، وهو أسلوب اتبعه الشاعر للسيطرة على مجريات الأحداث، بل وللسيطرة عن ذهن القارئ، والدفع بالخطاب تجاه ما يريده. فالشاعر يريد أن يصل بالقارئ إلى نتيجة حتمية فرضتها الأسباب التي ساقها مع كل مقطع من المقاطع التي مرت بنا، وما يدعم قولنا هذا، هو توظيفه للرباط الحجاجي "إذن" الذي عمل على ربط السابق باللاحق، "ارتباط السبب بالنتيجة" (24)

المقطع السادس:

سجل.. برأس الصفحة الأولى

أنا لا أكره الناس

ولا أسطو على أحد

ولكني .. إذا ما جعت

أكل لحم مغتصبي

حذار .. حذار.. من جوعي

ومن غضبي. (25)

كلمة "سجل" رافقت التركيب اللغوي "أنعربي" في جميع المقاطع السابقة، إلا في هذا المقطع وردت لوحدها متبوعة بنقاط وفي نفس السطر مع ما جاء بعدها، تعبيرا عن الحالة النفسية المضطربة المتوترة للشاعر، الناتجة من شدة الغضب والألم والحزن؛ إذ ينفجر قائلا طفح الكيل من أعمالك الدنيئة أيها المغتصب لأرضي وحريتي وإليك رأيي: فيما تفعل: "أنا لا أكره الناس ولا أسطو على أحد لكني.. إذا ما جعت أكل لحم مغتصبي"

فالوضع أجبر الشاعر على الخروج عن طبعه المسالم الذي يحمل كل معاني الإنسانية، مستعملا لهجة ساخنة، متوعدا، ومهددا، ومحدرا من انقلابه إلى وحش يلتهم كل من سولت له نفسه بالاقتراب منه، ومن أرضه قائلا: "حذار.. حذار.. من جوعي ومن غضبي".

و توظف الشاعر للرباط الحجاجي "لكن" يعبر عن تغير الأحداث على مستوى العالم الخارجي، وعلى مستوى النص، و كذا يعبر عن رغبة الشاعر في تغيير « وجهة المتلقي إلى وجهة جديدة تخالف الوجهة السابقة فيه» (26)؛ إذ عمل هنا الرباط على « قطع ما سبق وتثبيت ما لحق» (27)، أي مع الرباط "لكن" تحول الخطاب وتغير من ذكر للأسباب في

المقاطع السابقة، إلى الوقوف على نتيجة حتمية في المقطع الأخير وهي دعوة أبناء جلدته إلى مساندته في دحض هذه السياسة الاسرائيلية الظالمة.

- الطاقة التأثيرية للكلمة الدرويشية

إن غاية أيّ متكلم (محاجج)، إدراج الجمهور وحشره في مقاصده ومراميه، ولتحقيق ذلك ينطلق في مناقشاته الحجاجية من مقدمات مسلم بها من طرف المتلقي: «تتضمن قصداً تأثيرياً مضمراً أو معلناً، بنية تحويل أو تعديل وجهة تفكير المخاطب... داخل مسار تواصل غير إلزامي»²⁸ بغية استدراجه والدفع به إلى الانخراط في جهة المتكلم. حيث تستمد هذه المقدمات قوتها وشرعيتها الحجاجية من الحياة اليومية للناس، وفكرهم ومعتقداتهم المشتركة بينهم، وقيمهم التي «تختل في الحجاج مرتبة عالية وتنزل منزلة سامية، إذ عليها يدور وبهديها يتوجّه، فما يرسمه المحاجج من مقدمات إنّما مآله تثبيت قيم ترسخ وتثبت ليعتقد فيها ويقتنع بها»²⁹ من طرف المتلقي.

ومحمود درويش شاعر حمل نفسه مسؤولية الدفاع عن القضية الفلسطينية، وهي قضية مشتركة بينه وبين كل مثقف عربي ومسلم، إضافة إلى اعتماده على انتقاء واختيار الكلمة المناسبة البسيطة المعبرة عن انشغالات، وهموم الفرد الفلسطينيين، وذلك ليقينه بأن اختيار المادة اللفظية من أهم الاستراتيجيات التأثيرية التي تقوم «على عملية فرض لجملة من المعطيات والنتائج الموجهة حوارياً بصفة حتمية لا تترك للمتلقي أي خيار في اختيارات أخرى؛ بل هو مطالب بالافتناع بصحة ما توصل إليه بفعل القراءة أو السماع... إذن فهو مطالب بقبولها بدافع نفسي»⁽³⁰⁾ ولاسيما إذا كان ما يطرح عليه مستوحى مما يؤمن به من عقائد أو عادات، أو صورة معبرة عن واقع معيش.

وانتقاء المتكلم للمادة اللفظية في التعبير عن أفكاره، هو ما أطلق عليه عبد الله صولة مصطلح قانون الأنفع أو الأجدى* مقتدياً بديكرو؛ ومعناه أن يتنحل المتكلم الكلمة المناسبة والتي تحمل بذاتها قوة تأثيرية أكثر من غيرها. حيث «يرى برلمان أن اختيار المتكلم ألفاظه للتعبير عن أفكاره قلما يكون اختياراً لا تتحكم فيه غايات حجاجية خصوصاً حين يكون اللفظ (أ) الذي وقع عليه الاختيار لفظاً فيه عدول عن الكلام العادي فباستخدام هذا اللفظ القائم على العدول يقع التنبية إلى مقصد المتكلم الحجاجي وإن كان استخدام اللفظ العادي الذي لا يكون فيه عدول عن الكلام العادي ربّما كان هو أيضاً علامة حجاج ومستخدماً من أجل الحجاج فالمهم عند برلمان أنّه في أيّ خطاب تتجلى الغايات الحجاجية والوسيلة المحققة لتلك الغايات هي الاستبدال دائماً العنصر (ب) بالعنصر (أ)»³¹ ولا جرم أن تكرر الشاعر لعبارة سجّل أنا عربي للدلالة على تذكير القارئ العربي بواجبه اتجاه القضية

الفلسطينية، وذلك بدغدغة مشاعره وإحساسه القومي، كما نجد بعض الكلمات المعبرة عن الحس المشترك بين الشعب الفلسطيني، وبقية الشعوب العربية ككلمة؛ جذوري، والسرو، والزيتون، المحراث، الفلاح، بيتي كوخ. في قوله:

جذوري

قبل ميلاد الزمان رست

وقبل تفتح الحقب

وقبل السرو والزيتون

..وقبل ترعرع العشب

أبي .. من أسرة المحراث

لا من سادةٍ نجب

وجديّ كان فلاحا

وهي كلمات منتقاة موحية، ذات دلالات تأثيرية؛ قصد من ورائها الشاعر تذكير المتلقي العربي بحقه الضائع في فلسطين، وواجهه اتجاهها، بمطالبة العدو بالرحيل منها. وهي رؤية فنية متميزة؛ كانت وليدة «مزيج من انعكاسات شتى الحوادث والانفعالات عبر ذات فرد هو ابن بيئة محددة مكانا وزمانا وقد عانى تجارب شتى»³²

خاصة ما عاشه وأبناء جلدته من ظلم ومرارة، وحرمان، وتزيف للحقائق التاريخية، وإعادة تشكيل للذاكرة، من طرف العدو الغاشم، الذي حاول فرض حصار كلي على الفلسطينيين، وعزلهم عن العالم.

وختاماً نصل إلى:

- إنَّ ما يشد القارئ في هذه القصيدة أن صاحبها، أقام صرحها على المزوجة بين الخطاب المباشر، والخطاب غير المباشر محدثاً «أثراً فنياً رائعاً، يبعث على اللذة والإشباع الفني»⁽³³⁾، مما أنتج لنا نصاً محكماً بسباق لغوي تداولي، ساعد المتلقي على الإذعان إلى أقوال الشاعر التي تكاد تكون مطابقة للواقع، فجاء النص مفعماً بالإقناع مصبوغاً بصبغة حجاجية، إذ أن «وظيفة الإقناع من أسمى غايات التداول الحجاجي»⁽³⁴⁾ التي تجعل النص مفتوحاً على القراءات التأويلية المتعددة، وهو ما لامسناه في قصيدة محمود درويش.

- إن الشاعر محمود درويش، شاعر مناضل استطاع أن يجعل من الكلمة البسيطة؛ كلمات إيجابية ذات قوة استفزازية للقارئ العربي المستهدف بالخطاب.

- إن الكشف عن القوة التأثيرية للنص الشعري الثوري المعاصر يتطلب قارئاً متمكناً، قادراً على الغور في أعماق البنية النصية للقصيدة، ومحاولاً فك شفراتها، وذلك من خلال ما يمتلكه من مرجعية فكرية ولغوية، وثقافية، مشتركة بينه وبين الشاعر.

الهوامش:

- 1 - ينظر: عبد القادر قندسي، التأويل الأدبي بين البيانيين و البرهانيين من سلطة العقل إلى بيان المعرفة، أطروحة دكتوراه ، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب و الفنون (سيدي بلعباس)، الجزائر، 2010م - 2011م، ص: 240
- 2 - على حرب، نقد الحقيقة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط03، 2000م، ص: 09
- 3 - ينظر: عبد القادر قندسي، التأويل الأدبي بين البيانيين و البرهانيين من سلطة العقل إلى بيان المعرفة، أطروحة دكتوراه ، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب و الفنون (سيدي بلعباس)، الجزائر، 2010م - 2011م، ص: 240
- 4 - على حرب، نقد الحقيقة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط03، 2000م، ص: 09
- 5 - ينظر: أحمد على سعيد، أدونيس، مقدمة للشعر العربي، دار الفكر، بيروت، 1986م، ص: 79
- 6 - جميل حمداوي، السيميوطيقا والعنونة، مجلة عالم الفكر، وزارة الثقافة، الكويت، العدد (03)، المجلد (25)، 1997م، ص: 96
- 7 - ينظر: محمد مفتاح، دينامية النص تنظير وإنجاز، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط03، 2006م، ص: 72
- 8 - سامية الدريدي الحسني، دراسات في الحجاج (قراءة لنصوص مختارة من الأدب العربي القديم) ، عالم الكتب الحديث، إربد ، جدار للكتاب العالمي، عمان، ط (01)، 1430هـ - 2009م ، ص: 21
- 9 - محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية و المنطقية و اللسانية، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط(01)، 1426هـ - 2005م، ص: 135
- 10- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم بنيته و أساليبه حتى نهاية القرن الثاني هجري، عالم الكتاب الحديث، اربد، الاردن، ط(01)، 2008م، ص: 168
- 11- محمود درويش، من أوراق الزيتون، ص: 106
- 12- سورة المعارج، الآية: 04
- 13 - سورة الحاقة، الآية: 17
- 14 - محمود درويش، ديوان أوراق الزيتون، 1964م، ص: 14107
- 15- سامية الدريدي الحسني، دراسات في الحجاج - قراءة لنصوص مختارة من الأدب العربي القديم- ص: 22
- 16- محمود درويش، ديوان أوراق الزيتون، ص: 107- 108
- 17 - محمد صلاح زكي أبو حميدة، الخطاب الشعري عند محمود درويش - دراسة اسلوبية- مطبعة المقداد، غزة، 1421هـ - 2000م، ص: 81
- 18 - عبد الهادي ظافر الشهري، إستراتيجية الخطاب مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط01، 2004م، ص: 444
- 19- المرجع نفسه، ص: 1981
- 20 - محمود درويش، ديوان أوراق الزيتون، ص: 108
- 21 - عبد الهادي ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب - مقارنة لغوية تداولية، ص: 87

- 22 - المرجع نفسه، ص: 484
- 23 - محمود درويش، ديوان أوراق الزيتون، ص: 108
- 24 - سامية الدر يدي الحسني، دراسات في الحجاج - قراءة لنصوص مختارة من الأدب العربي القديم- ص: 16
- 25 - محمود درويش، ديوان أوراق الزيتون، ص: 108- 109
- 26 - سامية الدر يدي الحسني، دراسات في الحجاج - قراءة لنصوص مختارة من الأدب العربي القديم- ص: 23
- 27 - المرجع نفسه، ص: 23
- 28- أمينة الدهري، الحجاج و بناء الخطاب -في ضوء البلاغة الجديدة-شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء ، ط1432، 01هـ - 2011م، ص: 143
- 29- على الشبعان، الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل -بحث في الأشكال والاستراتيجيات- دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط(01)، 2010م، ص: 103
- 30 - ينظر: محمد شطاح بوقرة "تحليل الخطاب الأدبي و الإعلامي بين النظرية و التطبيق، مكتبة الآداب، ط(01)، 1427هـ - 2006م، ص: 15
- *- يرى عبد الله صولة أن: «أهم ما يجمع بين بلاغة برلمان وتيتيكا من ناحية وبلاغة ديكر و أنسكمبر من ناحية أخرى خضوع البلاغتين لقانون واحد هو قانون الأنفع أو الأجدى» [عبد الله صولة، في نظرية الحجاج - دراسات وتطبيقات - مسكيليبي للنشر والتوزيع، تونس، ط (01) 2011م. ص: 78]
- 31- عبد الله صولة، في نظرية الحجاج، ص: 78
- 32 - عيد ميخائيل، أسئلة الحدائث بين الواقع والشطح، منشورات كتاب اتحاد العرب، 1998م، ص: 08
- 33 - محمد صلاح ركي أبو حميدة، الخطاب الشعري عند محمود درويش - دراسة اسلوبية- ص: 12
- 34 - مسعود صحراوى، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار التنوير للنشر و التوزيع، الجزائر، ط 01، 1429هـ - 2008م. ص: 65
- المصادر والمراجع:**
- 1- أحمد على سعيد، أدونيس، مقدمة للشعر العربي، دار الفكر، بيروت، 1986م.
- 2- أمينة الدهري، الحجاج و بناء الخطاب -في ضوء البلاغة الجديدة-شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء ، ط1432، 01هـ - 2011م.
- 3- جميل حمداوي، السيميوطيقا والعنونة، مجلة عالم الفكر، وزارة الثقافة، الكويت، العدد (03)، المجلد (25)، 1997م.
- 4- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم بنيته و أساليبه حتى نهاية القرن الثاني هجري، عالم الكتاب الحديث، اربد، الاردن، ط(01)، 2008م.
- 5- سامية الدريدي الحسني، دراسات في الحجاج (قراءة لنصوص مختارة من الأدب العربي القديم) ، عالم الكتب الحديث، اربد ، جدار للكتاب العالمي، عمان، ط (01)، 1430هـ - 2009م.
- 6- على حرب، نقد الحقيقة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط03، 2000م.
- 7- على الشبعان، الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل -بحث في الأشكال والاستراتيجيات- دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط(01)، 2010م.
- 8- عيد ميخائيل، أسئلة الحدائث بين الواقع والشطح، منشورات كتاب اتحاد العرب، 1998م.

- 9- عبد القادر قندسي، التأويل الأدبي بين البيانين و البرهانين من سلطة العقل إلى بيان المعرفة، أطروحة دكتوراه ، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب و الفنون (سيدي بلعباس)، الجزائر، 2010م - 2011م.
- 10- عبد الله صولة، في نظرية الحجاج - دراسات وتطبيقات - مسكيلي للنشر والتوزيع، تونس، ط (01) 2011م.
- 11- مُجَد شطاح بوقرة "تحليل الخطاب الأدبي و الإعلامي بين النظرية و التطبيق، مكتبة الآداب، ط(01)، 1427هـ - 2006م.
- 12- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي ، دار التنوير للنشر و التوزيع، الجزائر، ط01، 1429هـ - 2008م.
- 13- مُجَد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية و المنطقية و اللسانية، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط(01)، 1426هـ - 2005م.
- 14- مُجَد مفتاح، دينامية النص تنظير وإجراز، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط03، 2006م.
- 15- محمود درويش، ديوان أوراق الزيتون، 1964م.
- 16- عبد الهادي ظافر الشهري، إستراتيجية الخطاب مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط01، 2004م.